بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي نَشَرَ علَى منابرِ الكَائِناتِ أعلامَ التَّوحِيد، ونكَّسَ رايَات أهل الشِّرك والتَّندِيد، وقصَم بشدةِ بطشِه كُلَّ جبَّارٍ عنيد، وأيَّدَ بنَصْرِه وتأييده مَنْ أفردَهُ بالتَّوحيد، وسقَى قُلوبهم بوابِل الكتاب وطلِّ السُّنَّة، فأثمرت المُعتقد الخالص والقول السَّديد، يُعطِي ويَمنع، ويَخفِض ويرفَع، ويصِل ويقطَع، وله الحِكمة البالغة، والحجَّة الدَّامغة، وما ربُّكَ بظلاَّم للعبيد.

أحمدُه سُبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله لذَّة النظر إلى وجهه في يوم المزيد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، المُحصي المُبدئ، الفعَّال لِمَا يُريد، تعَالى عن أن يكُون له شَريكٌ في الملك، أو وَليٌّ من الذُّلِّ أو صاحبةٌ أو ولد أو والد أو كفؤٌ أو نديدٌ، وأشهدُ أنَّ سيدنا ونبينا مُحمَّدًا عبدُه ورسُوله سيدُ الخلق وخاتمُ الرُّسل وأكرَمُ العَبيد، صَلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وصحبِه الذين جرَّدوا سُيوف الحقِّ لإزهاقِ كُلِّ باطِلٍ وإرغامِ كُلِّ كَفَّارٍ عَنيدٍ.

أمَّا بعد: فأوصِيكُم -عِبادَ الله- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله رحِمَكُم الله، واعلموا أنكم لم تُخلَقوا عَبثًا ولن تُتْرَكوا سُدى، بل -واللهِ- خَلْقُكُم لأمرٍ عظيم، وخَطبٍ جَسيمٍ، بيَّنَه في مُحكَم تنزيله، وهو الحَكِيم في خلقه وشرعِه الصَّادق في قيله، ومن أصدقُ من الله قيلا، وأبينُ دليلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)﴾ [الذاريات]، فأخبرَنا تعالى أنه ما خلَقَنا إلاَّ لعبَادته، والعِبادةُ: «**هي اسمٌ جَامعٌ لكُلِّ ما يُحِبُّه اللهُ ويرضَاه مِن الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**»، وأصلُ العبادة وقِوَامُها الذي لا قوام لها بدونه **هو التوحيد** الذي أُرسلَت به الرُّسُل وأُنزلت به الكتب، ومن أجله أُمر بالجهاد، وفُرض على كل فرد من الأفراد، ولأجله خُلِقَت الدنيا والآخرة، والجنّة والنّار. والجامعُ له كلمةٌ خفيفةُ اللفظ واسعةُ المعنَى جليلةُ القدر، وهي «**لا إله إلا الله**»، كلمةُ الشهادة ومفتاحُ دارِ السَّعادة، فهي أصلُ الدِّين وأسَاسُه ورأسُ أمرِه وساقُ شجَرته وعمُود فُسطَاطِه، وبقيةُ الأركان والفرائض مُتفرعةٌ عنها مُتشعبةٌ منها مُكملاتٌ لها مقيَّدةٌ بالتزام معناهَا، والعمل بمُقتضَاها، فهي العُروة الوثقى التي قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٦٥] الآية، وهي العهد الذي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧)﴾ [مريم]، وهي الحَسَنةُ التي ذَكَر الله عز وجل في قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩)﴾ [النمل]، وهي كلمةُ الحقِّ التي ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٦]، وهي كلمةُ التَّقوى التي ذكر الله تعالى في قوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]، وهي المثلُ الأعلَى الذي ذكَر الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وهي الحُسنَى التي ذكَر الله عز وجل في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ [الليل]، وهي القولُ الثابتُ الذي قال الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] الآيات، وعنهَا يَسألُ اللهُ الرُّسل وأُمَمهُم حيث يقُول تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)﴾ [الأعراف]، فيقُول للرُّسل: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٩] ويقول للأمَم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، وفي الحديث: «**لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**» [السلسلة الصحيحة:١٣٤، بلفظ قريب منه].

ولكنها قُيِّدَت بقُيُودٍ ثِقال، هي أثقلُ على مَنْ أضلَّه الله من الجِبال، وأشقُّ عليه حملُها من السلاسل والأغلال، أمَّا من وفَّقهُ الله وهدَاه، ويسَّر لهُ سُبل النَّجاة، وجعلَ هَواه تبعًا لما جاء به رسُوله ومُصطفاه، فهي أسهلُ عليه وألذّ لديه من العَذب الزُلال.

الأول: **العِلْمُ بمعناهَا الَّذِي دلَّتْ عَليه وأرشَدتْ إليه**، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي شهِدوا بـ«لا إله إلا الله» وهم يعلمُون بقُلوبهم مَعنَى مَا نطقُوا بهِ بألسِنَتهم، وفي مُسلم عن عُثمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [صحيح مسلم:٢٦]، فقيَّدها بالعِلم بمعنَاها وهو نفيُ العبادة عن كُلِّ ما سِوى الله عز وجل، وإثباتُها لله وحدَه لا شريكَ له، أمَّا من يَهذِي بها هَذيانًا ككلام النَّائم لا يعلمُ معناها، فكيف ينفِي ما نفت ويُثبتُ ما أثبتَتْ وهو لا يعلمُ شيئًا من ذلك؟! أم كيف يعمَل بمُقتضَى ما لا يعلَمُه؟

الثاني: **اليَقِينُ بِمَا دلَّت عَليْه في الشَّهادة والغَيْب**، المُنافي لمُناقِضه من الشكِّ والرَّيْب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [الحُجُرات]، فقصَر الإيمان عليهِم مع التقييد بكونهم لم يرتابوا، أي: لم يشُكُّوا، فلا إيمان لِمن قالها شاكًّا مُرتابًا، و لو قالها بعدَدِ الأنفاس، ولو صرَخ بها حتَّى يُسمِعَ جميعَ النَّاس، وفي مُسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [صحيح مسلم:٢٧]، وفيه من حديثه أيضا أن رسُول الله ﷺ بعثه بنعليه فقال: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» الحديث [صحيح مسلم:٣١]، فقيَّد استحقاقَ قائِلها دخُولَ الجنَّة وتبشيرَه بها، بكونِه غيرَ شاكٍّ فيها، وبكَونِه مُستيقنًا بها قلبه، والمعنى في ذلك واحد، فنفيُ الشكِّ يُفيد ثُبوت اليقين، وثبوتُ اليقين يفيدُ نفيَ الشكِّ.

الثالث: **القَبُولُ لهَا المُنافِي لردِّ مَدلُولها**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)﴾ [السجدة]، والآيات هنا المراد بها القرآن، ومُعظمُه في حقِّ هذه الكَلمة، و﴿ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي عن الإيمان بالله وطاعته، وذلك هو حقيقةُ التألُّه المَنفيِّ عن سِوَى الله بـ«**لاَ إِلَه**»، المُثْبَتِ لَهُ سُبحانه بـ«**إلا الله**»، ولا رَدَّ أعظم من الاستكبار، ولهذا قال تعالى في حقِّ مَنْ

ردَّها بعد أن ذكَر ما وعدَهم به من العذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ [الصافات]، فلم يتركوا آلهتهم المنفية بـ«**لاَ إله**» ولم يقبلوا إثبات«**إلاَّ الله**»، فقال تعالى تكذيبًا لهم وتصديقًا لنبيه ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ [الصافات]، وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**» [صحيح البخاري:٧٩، ومسلم:١٥(٢٢٨٢)]، **فانظُر هذا الحديث واعتَبِر به** فهُو عِبرةٌ لأولي الأبصار، فإنَّكَ إذا أمعنتَ النظر فيه رأيتَه يحتوي على ما لم يتسع له المُجلدات الكبار، والمقصُود هُنا أنَّ المثلين الأولين لمَنْ قَبلَ هُدَى الله الذي هذه الكلمةُ أصلُه، وإن كَانوا على درَجتين مُتفاوتتين، والمثل الثالث لمن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبله، فلم ينتفع هو ولم ينفع غيره، بل هو ضررٌ محضٌ على نفسه وعلى غيره.

الرابع: **الانقيادُ لمعناها المُنافي لتركِ العَمَل بمُقتضَاها**، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان] الآية. ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ينقاد ويُقبِل على طاعتِه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي موحِّد، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي بـ«**لاَ إله إلا الله**»، فخرَج بذلك مَنْ لَمْ يُسلِم وجهه إلى الله ولم يك مُحسِنًا فإنَّه لم يتمسَّك بها، وهو المعني بقوله تعالى بعد ذلك ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)﴾ [لقمان]

وفي الأربعين أنَّ رسُول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدُكم حتَّى يكُون هواه تبعًا لمَا جِئتُ به**» [قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم: «تصحيح هذا الحديث بعيد جداً»... ثمَّ قال رحمه الله: «وأمّا معنى الحديث من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به ويُكره ما نهى عنه، وقد ورد القرآن بمثل هذا»]

فجعلَ الشَّرطَ في الإيمَانِ كمَالَ الانقياد لمَا جاءَ به ﷺ، ونفاه عمن لم يكن كذلك، ومعلومٌ أنَّهُ ﷺ لم يجئ يدعو إلى شيء قبل هذه الكلمة، فمَنْ لَمْ ينقَد لمدلولها لَم ينقَد لشيء مِمَّا جاء به الرَّسُول ﷺ.

الخامس: **إخلاصُ الدِّين** لله عز وجل **المُنافي للشِّرك الذي لا يُقبَل معَه**، قال الله تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٣]، وقال تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزُّمَر:٢]، وقال تعالى ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤)﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾ [البيِّنة]، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦] الآية، فجعل تعالى شَرطَ كونِهم معَ المُؤمنين أن يُخلصوا دِينَهُم لله، فمَنْ قالها ظاهرًا ولم

يكُ مُخلصًا فليسَ هُوَ معَ المُؤمنين، بل هو معَ المُنافقين الذين هم في الدَّرْك الأسفل من النَّار، وقال رسُول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود وجابر وغيرهما رضي الله عنهم، ولمَّا قال له أبو هريرة رضي الله عنه: «**مَنْ أسعَدُ النَّاسِ بشفاعَتِكَ يَا رسُولَ الله؟**»، قال: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**» [صحيح البخاري:٩٩]، وهذا مِمَّا لا يحتمل التأويل ولا يحتاجُ إلى تفصيل.

السادس: **الصِّدقُ المُنافي للكَذِب**، وهو أن يتواطأ على ذلكَ القلبُ واللِّسانُ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة]، وقال تعالى في كَشْفِ ما أضمَرهُ المُنافقون، وهَتْكِ أستَارِهم حيثُ أظهروا الإسلام وأبطنُوا الكُفر: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقرة]، فكذَّبهم الله عز وجل في قولهم ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بقوله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخر الآية، وذلك لمَّا اطَّلَع الله سُبحانه وتعالى على ما في قُلوبهم من المرض، وأنها لم تواطِئ ألسنتهم فهم شرُّ الكفار، ومأواهُم الدرك الأسفل من النار، وقد بيَّن الله عز وجل في سورة التوبة كثيرًا من فضائِحهم بقوله سُبحانه وتعالى ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾ وكذا في سورة النساء و ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ وغيرها يشهد سُبحانه إنهم لكاذبون، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**» متفق عليه، وفي حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ يسأل عن أركان الإسلام التي أعظمُها هذه الكلمة، لمَّا أخبره النبي ﷺ بذلك قال: «**هَلْ عَلَيَّ غَيْرُها؟**» قال: «**لاَ، إلا أنْ تطَوَّع**»، قال: «**وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَلاَ أَنْقِصُ**»، فقال رسول الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**» [صحيح البخاري:٤٦، ومسلم:١١]، فاشترطَ في فلاحِه أن يكُون صَادقًا، فخرَج بذلك الكاذب المُنافق فإنَّه لا فلاح له أبدًا، بل له الخيبةُ والرَّدَى عياذًا بالله من ذلك.

السابع: **المحبَّة**، **وهو أن يكُون الله ورسُوله أحبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُما**، و أن يُحِبَّ في الله ويُبغِضَ في الله ويُوالِيَ في الله ويُعادِيَ في الله، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤] الآية، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية، فوصَفَ اللهُ سُبحانَه عِبادَه المُؤمنين بأنَّهم أشدُّ حُبًّا له، وأنَّهُم يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه، وأنَّهم لا يُوادُّون مَن حادَّ اللهَ ورسُولَه ولو كانوا أقرب قريب، ومن هذا يُؤخذ أنَّهُ لا يوادُّ المُحادِّين إلاَّ مَنْ هُوَ مُتَّهمٌ في الدِّين، بل هُو مِنَ المُلحِدِين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم

مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة:٥١]، وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [صحيح البخاري:١٦، ومسلم:٤٣]

وفيه أيضا عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [صحيح مسلم:٤٤].

* ثُمَّ اعلَم أنَّه لا يكُون مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلا الله مُؤمنًا حتَّى يشهدَ أنَّ «**محمَّدًا رسُول الله** ﷺ» مع التزامِه فيها جميعَ الشُّروط التي قدَّمناها مع أدِلتها من الكتاب والسنة التي قُرِنَت بين هاتين الشهادتين وبين شُروطها المَذكورة مَنطُوقًا ومَفهُومًا.

ومعنَى شَهادةِ أنَّ مُحمَّدا رسُول الله ﷺ تصديقُه في جميع ما أخبَر به عن ربه عز وجل من أنباء ما قد سَلف وأخبار ما سَيأتي، و في ما أحلَّ من حلال وحرَّم من حرَام، تصديقًا جازمًا بيقِين صادقٍ لا شُكوك تُداخله ولا أوهام، والامتثالُ والانقيادُ لما أمر به من شرائع الإسلام، والكفُّ والانتهاءُ عمَّا نهى عنهُ من المحَارم والآثام، واتباعُ شريعتِه والتزامُ سُنَّته في السرِّ والجهر مع الرضا بما قضاه والاستسلام.

وذلك لأنا إذا علِمنا وتيقنا أنَّه رسُولٌ من عِندِ الله عز وجل، علِمنا وتيقنا أنَّ أمره ونهيه وجميعَ شَرْعِه إنَّما هو تبليغٌ منه لِمَا أمرَ به اللهُ ونهى عنهُ وشرَعه، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[النساء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء]، فطاعةُ الرسُول ﷺ هي طاعةُ الله، ومعصيتُه معصيةُ الله، واتبَاعُه هو اتِّباعُ مَحابِّ اللهِ ومرضَاتِه ومُوجبَاتِ مغفرتِه ورحمتِه، وتحكيمُه هو تحكيمُ ما أنزلَ الله، وكراهيةُ حُكمِه كَراهيةٌ لِحُكْم الله عز وجل، فهو ﷺ لم يأمُر إلا بمَا أمرَ اللهُ به، ولم ينهَ إلا عمَّا نَهى اللهُ عنهُ، ولم يَشْرَع إلاَّ مَا أمرهُ اللهُ بتبليغِه، ولَمْ يحكُم إلاَّ بمَا أرادَ الله عز وجل، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾[الشورى:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النور]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾[المائدة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[الجن]،

و قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[المائدة:٦٧]، **فَهُوَ ﷺ عَبدٌ لا يُعبَد، ورسُولٌ لا يُكَذَّب، بل يُطاعُ ويُتَّبَع**، فنشهدُ أنَّه عَبدُ الله ورسُوله، شرَّفهُ اللهُ بالعُبوديَّة ونوَّهَ بوصفِه بها في أشرَفِ مَقامَاتِه، فقَال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء:١]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الكهف:١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة:٢٣]، إلى غير ذلك.

وقد شَهِدَ تعَالى لهُ بالرِّسالة فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾[المنافقون:١]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾[الفتح:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾[آل عمران:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾[البينة:٢]. ولم يُنجِ اللهُ من عذابه، ولم يكتُب رحمَتَهُ إلاَّ لمَن تبعَهُ وآمَن بِهِ وعزَّرَهُ ونصَرهُ واتَّبعَ النُّور الذي أُنزل معهُ. قال تعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[الأعراف]

ونشهدُ بعمُوم رسَالتِه إلى النَّاس جَميعًا جِنِّهم وإنسِهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [صحيح مسلم:١٥٣]، وقد أخذَ اللهُ عز وجل ميثاقَ النَّبيِّين علَى الإيمَان بِهِ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران].

ونشهدُ أنَّ كُلَّ عامِلٍ بعدَ بعثتِه على خِلاف مَا بُعث به ﷺ لَمْ يُقبَل مِنهُ مِثقَالُ ذرَّة ولو عَمِل أيَّ عمَل، لأنَّه ﷺ بُعثَ بدين الإسلام، والله تعالى يقُول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، وفي الصحيحين مِنْ حَديث عائشة رضي الله عنها قالت: قَال رسُول

الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي روايةٍ لمُسلم «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

ونشهدُ أنَّه ﷺ لَمْ يتوفَّاهُ الله عز وجل حتَّى أكمَلَ لنَا به الدِّين، وبلَّغ جميعَ مَا أُرسِلَ بِه البلاغَ المُبين، ولَم يترُك خيرًا إلاَّ دلَّ الأمَّةَ عليه وأرشَدهُم إليه، ولا شرًّا إلاَّ حذَّرهُم منهُ ونهَاهُم عنهُ، وتركهُم علَى المَحجَّة البيضَاء ليلها كنَهارِهَا لا يزيغُ عنهَا بعدَهُ إلاَّ هَالِك، وقدْ أنزلَ الله عز وجل في حَجَّة الوَداع التي هي آخرُ اجتماعِه بالنَّاس ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[المائدة:٣]، وفيها خطَبَ ذلك الجمعَ العظيم وقال في خُطبته تِلك: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ»، قالوا: «نَعَمْ»، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، **ثلاثًا يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس** «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، الحديث في الصحيحين.

ونشهدُ أنَّه خاتمُ النبيين ولا نَبيَّ بعدَه، ومَنْ ادَّعى النُبوَّة بعدَه فهو كَاذبٌ، ومَنْ صَدَّقَهُ في دعوَاه فهُو كَافرٌ، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وفي حديث الدجَّال في الصحيحين وغيرهما قال ﷺ: «وإنَّه يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وكذا في السنن من حديث ثوبان رضي الله عنه: «وإنَّهُ يكُونُ بَعْدِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي» [صحيح الجامع:١٧٧٣]، فهو ﷺ خاتَم النبِيِّين وسيدُ ولد آدم أجمَعين حتَّى الأنبياءَ والمُرسَلين.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[البقرة:٢٥٣]، قال أهل التفسير: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ هو محمد ﷺ، وفي حديث الشفاعة الطويل «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلا فَخْرَ» [صحيح ابن ماجه:٣٤٧٧]

ونُؤمنُ بمَا أجرَى اللهُ على يدَيْه مِنَ المُعجِزات الخَوارق للعَادة التِي أعظمُها «القُرآن العظيم» الذي لا يأتيه البَاطل مِنْ بين يدَيْه ولا مِنْ خَلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وقال فيه ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إذا تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**» [رواه مسلم:٢٤٠٨، بلفظ: «وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ»] الحديث في الصحيح.

ونؤمنُ بما سيُكْرِمُه الله بِهِ في الآخِرة من الكرامات التي أعظمها «المقام المحمود» الذي يَغبطُهُ بِهِ الأولون والآخِرون، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩]، وقال ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» [صحيح مسلم:٢٢٧٨]، و«أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ» [صحيح مسلم:١٩٦]، إلى غير ذلك مِمَّا لا يدخُل تحتَ حَصْرٍ.

والأدلةُ من الكِتابِ والسُنَّة على مطالِبِ الشَّهادَتين وشُرُوطِها أكثرُ مِنْ أَنْ تُحصَر، وقدْ اقتَصَرنا في كُلِّ مَسألةٍ على دليلٍ مِنَ الكِتابِ والسُنَّة لقصْدِ الاختصَار، وإلاَّ فهو بعضٌ من كُلٍّ، ودِقٌ من جلٍّ، وقَطرةٌ من بَحرٍ، وفيه إن شاء اللهُ كفايةٌ لمن أراد اللهُ إخراجَه من الظُلمات إلى النُّور.

وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب ولا حَول ولا قُوَّة إلاَّ بالله العَليِّ العظيم، وصلَّى اللهُ على مُحَمَّد وعلى آله وصَحبه وسلَّم.

مِفتَاحُ دَارِ السَّلَامِ

بتحقيق شهادتي الإسلام



تأليف

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

رحمه الله تعالى

